الإعصار التنصيري يتحرك نحو باكستان

فى العالم الإسلامى دولتان يمثلان أكبر الأهمية بالنسبة لحركتنا ، هما باكستان ومصر ..
وسقوط إحداهما فى قبضتنا يعنى إزالة أكبر عقبتين فى طريق التبشير بكنيسة المسيح ... له المجد .

ستيفين نل

المؤرخ الكنسى

الإعصار التنصيرى يتحرك نحو باكستان

فى كتاب « رحلتى من الكفر إلى الإيمان » للكاتبة الأمريكية المسلمة « مريم جميلة »[1] تقول هذه الأخت :

إن الاسلام هو الدين الوحيد الذى هزم المسيحية فى فترات الصراع بينهما وهو الوحيد الذى يتصدى لها فى أجزاء كثيرة من العالم ، وهو الذى يتحدى المسيحية بإنكار كل مبدأ من مبادئها الكبرى ويجعل من هذا الإنكار عقيدة راسخة عنده ، سواء تعلق الأمر بأبوه الرب أو بنوة المسيح للرب وتجسده وصلبه أو قيامته ، والقرآن جاء ليصحح هذه المفاهيم ، ولا يوجد دين آخر يتخذ هذا الموقف من المسيحية .

والإسلام فوق هذا وذاك يحير المسيحية برفضه الاستسلام بعد هزائمه السياسية فى العصر الحديث وببساطة عقيدته فى التوحيد وخلوها من مظاهر التعقيد والأسرار الكهنوتية ، والمسلمون هم وحدهم الذين يجابهون المسيحية بدين موثوق فى أصله التاريخى وبكتاب يؤمنون بأنه وحى ولا يستطيع خصومهم أن يشككوا فى نسبته إلى الرسول أو فى دخول التحريف عليه !!!

وتعود الكاتبة لتلقى الأضواء على بعض أساليب المبشرين لافتة النظر — إلى التفاصيل بعد أن تعرضت للخطوط العامة ، وننظر معها لنجد

(١) ولدت هذه الأخت المسلمة فى مدينة نيويورك لأبوين من نسل يهودى ثم أسلمت بعد معاناة فى البحث عن « دين الحق » وتزوجت من أخ باكستانى من أعضاء « جماعت إسلامى » وقد تعرفت على هذا الزوج فى « لاهور » وقد ترجم كتابها إلى اللغة العربية د / محمد يحيى وله تعليقات ممتازة على الكتاب وقد نشرته دار المختار الإسلامى — القاهرة .

الاستغلال البشع ممثلا فى تلك الجماعة التبشيرية التى استقرت بالمغرب فى أوائل القرن الحالى واحتمت بالاستعمار الفرنسى والأسبانى لتأخذ أيتام المسلمين فى مدينة طنجة وتنصرهم لقاء الخبز والمأوى ثم ترسلهم ــ بعد ذلك ــ ليكونوا مرتزقه فى خدمة الجيش الفرنسى الاستعمارى فى حروبه ضد الشعوب المسلمة وغير المسلمة ، ونلمح معها التدنى والحقارة فى قصة ذلك المبشر الذى أقنع أحد الأطفال الهنود المسلمين بأنه إذا صلى للمسيح ورسم علامة الصليب على صدره فإن فريقا لكرة الكريكيت سينتصر على الخصوم بفضل الرب . ثم نرى كيف يضع المبشرون أساطيرهم حول مهارتهم فى التنصير لنقرأ ما كتبه أحدهم عن شاب دمشقى من عائلة مسلمة كفر بالدين بعد اطلاعه على العلم الحديث لكنه عاد وآمن بالمسيحية عندما أخبره صديق نصرانى أن المسيحية لا تحرم الموسيقى[1] والرسم كما يفعل الإسلام المتعصب ... !

وتقف مريم غند نشاط المبشرين فى مجال العلاقات الاجتماعية فى البلاد الإسلامية لتلاحظ أنهم يهتمون كثيرا بما يسمونه تحرير المرأة أو تنفيرها من الإسلام وتعويدها على العادات الغربية لهز الإيمان فى نفسها وزعزعته أو وأده فى أطفال المستقبل ، ويركز المبشرون فى العديد من المناطق على ضرورة تخلى المرأة المسلمة عن الزى المحتشم وتمردها على الأسرة وخروجها إلى المراقص والملاهى ، حتى وإن لم يؤد ذلك فى النهاية إلى اعتناق المسيحية[2] ...

ويتضح من هذا الاتجاه أن للتغريب والتشكيك فى الإسلام أهدافا أصيلة فى عمل المبشرين تفوق بالفعل اهتمامهم بالدعوة إلى النصرانية ، ويبرز هنا

---

(١) الإسلام هو الدين الوحيد الذى يدعو إلى العلم ويعتبره فريضة على كل مسلم ومسلمة ، كما أن الإسلام لايحرم الفنون الراقية التى تسمو بالذوق ما لم تتعارض مع نص ثابت فى الكتاب والسنة ، وما لم تؤد إلى معصية أو تشغل المسلم عن الواجبات العامة والخاصة .

(٢) انظر كتابنا « فى محكمة التاريخ » حيث فضح هذا الكتاب هذه الأساليب بحجة ناصعة ..

كمثال قيام مبشرة هولندية بإنشاء مدرسة للبنات فى مدينة البصرة عام ١٩٠٩ م لتربيتهن تربية أوروبية صرفة وتجهيزهن لإكمال التعليم فى الغرب حتى يبعدن عن الإسلام تماما ، وكانت هذه المبشرة تهتم بمتابعة أخبار طالباتها وتفرح عندما تسمع أنهن تخلين عن الزى العراقى التقليدى واتبعن العادات الغربية فى بيوتهن ومع أطفالهن ، وقد سجلت تجربتها هذه فى كتاب صدر فى أمريكا عام ١٩٦١ م وتتحدث بابتهاج عن التغيير الاجتماعى المواتى للغرب الذى يمكن للمعاهد العلمية التبشيرية والغربية أن تحدثه ، وتعلق « مريم جميلة » على هذا النمط فى التفكير بالإشارة إلى دور الجامعة الأمريكية فى بيروت والقاهرة وكلية روبرتس فى اسطنبول[١] . وكما يقول « يوجين روستو » :

« إن الحوار بين المسيحية والإسلام كان محتدما على الدوام ، منذ القرون الوسطى ، بصورة أو بأخرى ، ومنذ قرن ونصف القرن خضع الإسلام لسيطرة الغرب ، أى خضعت الحضارة الإسلامية للحضارة الغربية ، والتراث الإسلامى للتراث المسيحى ، وتركت هذه السيطرة آثارها البعيدة فى المجتمعات الإسلامية ، حتى بعد انتهاء أشكالها السياسية ، بحيث جعلت المواطن العربى يواجه معضلات ومشكلات هائلة وخطيرة فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والعلم ، لايدرى كيف يتفاعل معها فى علاقاته الداخلية والخارجية على السواء ..

لقد تحرر حقا من سيطرة الغرب السياسية ، لكنه لم يستطع التحرر من سيطرة الغرب الحضارية ، إن ثروته البترولية تصنع وتسوق بالعقول الغربية والأساليب الغربية والآلة الغربية . إن الجيوش العربية التى هى مصدر غروره القومى ، تستعمل السلاح الغربى ، وترتدى البزة الغربية بل تسير على أنغام الموسيقى الغربية .. حتى أن ثورته على الغرب مستمدة من

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣٨ ــ ٢٣٩ .

المبادىء والقيم والمفاهيم التى تعلمها من الغرب .. حتى أن معرفته بتاريخه وحضارته وتراثه تعزى إلى المثقفين الغربيين ..

إن غلبة الحضارة الغربية فى الشرق ، وهى هى العدو القديم للحضارة الإسلامية قد أورثت العرفى المسلم الشعور بالضعة والمهانة والصغار أمام طغيان تلك الحضارة التى يمقتها ويحترمها فى ذات الوقت[1] ...

* * *

ومن أخطر ما كتبته الأخت المسلمة « مريم جميلة » فى هذا الكتاب أن يمتد الأخطبوط التبشيرى بتحالفاته السياسية الواسعة إلى قلب بلد كان يظن أنه بمنجى من مخططات التنصير والتغريب وهو باكستان التى قامت على الإسلام لجمع شمل المسلمين . فما الصورة فى ذلك البلد ؟ ولنترك الأرقام التى تذكرها « مريم جميلة » تتحدث ، ففى عام ١٩٥٨ م ذكر المسيحيون أن أعدادهم هناك تبلغ حوالى ثلاثمائة ألف وقالوا إن نسبة زيادة المسيحيين خلال عشر سنوات من عام ١٩٤١ إلى ١٩٥١ بلغت حوالى ٣٠ ٪ وكانت الزيادة فى منطقة البنغال الشرقية وحدها « بنجلاديش الآن » تصل إلى ٤٥ ٪،ووصلت فى منطقة لاهور بالجزء الغربى من البلاد إلى ٥٠ ٪ بينما ارتفعت فى مدينة كراتشى إلى مائة بالمائة ، أما فى الفترة من عام ١٩٥١ ـــ ١٩٥٨ فقد زادت الأعداد بنسب أعلى لاسيما فيما يتصل بالمنضمين إلى المذهب الكاثوليكى ، وترجع أنشطة التنصير إلى أواخر الأربعينيات حيث استغلت الهيئات التبشيرية حالة الفوضى السائدة عقب التقسيم وما تبعه من متاعب ونشوء تجمع لاجئين كبير فى الانتشار بين الأوساط الإسلامية والتركيز عليها ، وقد ذكرت جريدة « العالم الإسلامى » التى تتبع إحدى جهات التبشير الأمريكية أن المجتمع الإسلامى

---

(١) من محاضرة القاها اليهودى « يوجين روستو » أحد كبار مخططى السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط ، عن المؤامرة ومعركة المصير « لسعد جمعة ص ٨٧ ـــ ٨٨ ..

قد ساده الاضطراب عام ١٩٤٧ مما أدى إلى أن يصبح المسلمون أكثر تقبلا لصداقة المسيحيين المبشرين الذين قدموا المعونات والهدايا والإرشاد من خلال تنظيمات مثل اللجنة المسيحية لإغاثة باكستان الغربية ومقرها لاهور[1]، وقد دعمت حكومة باكستان هذه الأعمال التبشيرية وسهلت لها نشاطاتها من النواحى المادية والمعنوية فضلا عن تدفق الأموال من أمريكا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا والسويد على أكثر من أربعين منظمة تبشيرية فى باكستان من خلال المؤسسات التعليمية وغيرها .. »

ولعله من الصعب الحصول على إحصائية عن عدد المسيحيين فى باكستان ولكن طبقا لتقديرات عام ١٩٧٨ فإن ٩٧ ٪ « ٧٥ مليونا ، و ٧٠٠ ألف » من تعداد باكستان من المسلمين وأن ١,٤ ٪ (مليون) مسيحيون و١,٥ ٪ (مليون ، ٢٠٠ ألف) من الهندوس والمنبوذين ..

ومن الأعداد المسيحية يوجد أربعمائة ألف كاثوليكى وستمائة ألف من البروتستانت .

ومع أن الأعداد المسيحية فى باكستان قد تبدو غير ذى أهمية فإنها تزداد بمعدلات ثابتة .

وتتمثل هذه الزيادات نتيجة عنصرين :

العنصر الأول : عن طريق التناسل ، والآخر عن طريق الدخول فى المسيحية ... والعنصر الآخر سيكون نقطة الانطلاق لهذه الدراسة .

وهذا التقرير يلقى الضوء على ثلاث صور خاصة بالارساليات المسيحية وجالياتها فى باكستان .. ففى حقل نشاط الإرساليات ينظر هذا التقرير إلى أحدث الأساليب الإنجيلية الفريدة فى نوعها والتى قام بتخطيطها المسيحيون الرومان لجذب المسلمين إلى اعتناق الإنجيلية،وقد وضعت فى حيز التنفيذ فى كراتشى .

---

(١) إن معظم المسيحيين فى باكستان والهند كانوا من طائفة المنبوذين الذين التقطتهم البعثات التنصيرية بعد خروج المستعمرين من شبه القارة ..

ثانيا ــ ينظر التقرير إلى طبيعة المؤسسات اللاهوتية والجمعيات المسيحية الأخرى والأعمال التى يؤدونها للجالية المسيحية والإرساليات فى باكستان .

ثالثا ــ يفحص التقرير نمو الجالية المسيحية فى أقليم البنجاب وقراه وكذلك الخطط ، ومنه القيادة (الاستراتيجيات) التى رسمها المسيحيون لتغطية هذا النمو .

هذه الصور الثلاث قد تم اختيارها طبقا لنوعية المعلومات التى وصلت لأيدينا وكذلك لأهميتها التى لايمكن الاستهانة بها ، وبالتالى فقد كان من الضرورى إبراز هذه المعلومات لكى يستخدمها العاملون بالدعوة الإسلامية ..

ففى المقام الأول ــ فإن المعلومات الخاصة بأسلوب الانجيلية الحديث الذى استخدم فى كراتشى ، قد تم الحصول عليها عن طريق المراسلات مع أحد القسس المسيحيين الرومان الذى ابتدع هذا الأسلوب .

ثانيا ــ المعلومات المعطاة عن إقليم البنجاب ، هى معلومات قديمة حيث إنها تشير إلى فترة أوائل الستينيات . ومع أن الأرقام الخاصة بأعداد المسيحيين قد تكون قديمة فإن هذا لايسرى على مواقع القرى ولا على الأساليب والخطط التى وضعت لنمو أعداد المسيحيين .

وهذه الأرقام مع كل الاحتمالات ، وطبقا لاتجاه التعداد العام للسكان فى باكستان ، قد زادت ، وهذه الحقيقة يجب ألا تخفى عن الأذهان .

وأهمية هذه المعلومات ، هى أنها استنتاج للحقائق التى أخذت من التقارير التى أعدتها المجالس المسيحية بقصد توزيعها فى أضيق الحدود على الإرساليات المسيحية ، بغض النظر عن خططهم التوسيعة مستقبلا ، وقد تم الحصول على هذه التقارير من جمعية الكنيسة التبشيرية بلندن .

والمعلومات المتوافرة حاليا لايمكن التقليل من شأنها، نظرا لأن

الإرساليات المسيحية مازالت تباشر نشاطها فى باكستان[1] ...

فمن الأمور اللافتة للنظر أن عدد النصارى فى باكستان يزداد بدرجة تعكس قوة أنشطة المنظمات التنصيرية فيها ، فالإحصاء الرسمى يشير إلى أن عددهم عند قيام باكستان عام ١٩٤٧ كان ٨٠ ألف نسمة فحسب لكن هذا العدد قفز فى عام ١٩٨١ م لأكثر من ١,٣ مليون نسمة أى بنسبة ٢٠٢ ٪ وفى الفترة مابين ١٩٧٢ ـــ ١٩٨١ بلغت الزيادة فى عدد المسلمين ٣٥ ٪ فقط بينما ازداد عدد النصارى بنسبة ٤٤ ٪ .

أما زعماء النصارى فى باكستان فيبالغون فى إحصاءاتهم لعدد اتباعهم . ففى ٢٥ أغسطس ١٩٧٤ قال سكرتير عام الرابطة المسيحية (بطرس غل) إن عدد النصارى فى باكستان ٦ ملايين نسمة .

لقد ورد فى أحدث التقارير عن التنصير فى باكستان أن المنصرين تمكنوا فى يوم واحد من تنصير ثمانية آلاف شخص من الهندوس فى منطقة رحيم يارخان بإقليم السند وذلك فى شهر إبريل ١٩٨٥ . وقد أدت هذه الظاهرة إلى قيام الجماعة الإسلامية فى باكستان بتشكيل لجنة للتحقيق فى أسباب الحادث الذى غاب عن الذاكرة الشعبية والرسمية . ولم تعلن حتى الآن أسباب التنصير ولا دوافعه ، وتشير هذه التقارير إلى أن نسبة السكان المسيحيين فى المناطق القريبة من الحدود الهندية تزداد زيادة مرتفعة .

ففى الفترة من ١٩٥١ إلى ١٩٦١ ارتفعت النسبة من ١٢١ ٪ إلى ٩٥٠ ٪ وبلغت فى مناطق مثل بهاولبور ٥٣٤ ٪ و (تته) ٩٥٠ ٪ وفى الفترة من ١٩٥١ إلى ١٩٨١ ازداد عددهم بنسبة ٢٨٣٨ ٪ فى منطقة

---

(١) لقد قصرت المنظمات والحكومات الإسلامية فى شبه القارة الهندية الباكستانية ـــ قبل وبعد الاستقلال ـــ فى دعوة طائفة المنبوذين للدخول فى الإسلام وقد أدى هذا التقصير إلى هذا الوضع الذى يتهدد باكستان كدولة مسلمة ، قائمة على العقيدة والذى ستكون له انعكاسات خطيرة فى المستقبل مالم يتدارك المسلمون هذه الكارثة قبل وقوعها .

هزارة بإقليم الحدود و ٢١٦٢ ٪ فى سبى بيلوشستان و ١٩٥٦ ٪ فى حيدر أباد بالسند .

إن أخطر أساليب التنصير هو التعليم ، حيث يتصيد المنصرون أطفال المسلمين لتنصيرهم أو على الأقل زلزلة عقائدهم وبلبلة أفكارهم ، فعلاوةعلى مدارس تعليم الإنجيل بالمراسلة توجد مدارس تنصيرية كثيرة فى عموم باكستان وقد أممت هذه المدارس فى عهد سابق إلا أن الحكومة الحالية تقوم بردها إلى أصحابها الأصليين وهم نصارى ، وقد نشر فى الصحف المحلية بتاريخ ١٢ آيار (مايو) ١٩٨٥ مايلى :

إن الحكومة قد أنهت إجراءات رد ١٩ مدرسة تنصيرية فى إقليم السند إلى أصحابها ولايخفى على أحد أساليب المنصرين فى التأثير على عقول التلاميذ ونسوق هنا مثالا واحدا لبيان خطورة ما يمارس ضد أبناء المسلمين .

فى مدينة (مرى) السياحية قرب إسلام أباد يقام معسكر سنوى لبعض المدارس التنصيرية ويطلب من التلاميذ ــ وهم مسلمون ــ أن يأتوا معهم بالأناجيل التى توزع عليهم ليريهم الأساتذة كيف يعيشون حياتهم طبقا لتعاليم الإنجيل ، ومن برنامج المعسكر فقرة بعنوان « لقاء جماعى » يجلس فيها الطلبة فى جانب والقساوسة فى جانب آخر ويتبادلون النقاش فى الموضوعات المختلفة ويكون الفوز ــ بالطبع ــ للقساوسة الذين ينجحون فى إقناع الطلبة بأفكارهم ووجهات نظرهم . ولعل قائلا يقول إن أكثرية الطلبة فى المدارس التنصيرية من النصارى فلا يهم ذلك لكن الحقيقة أن نسبة المسلمين فى هذه المدارس تفوق ٨٥ ٪ ، فمدرسة القديس باتريك فى كراتشى فيها ٢٥٠٠ طالب منهم ٢١٠٠ مسلم ، ومدرسة القديس يوسف فيها ٢٢٠٠ طالب منهم ٢١٠٠ مسلم ، ومدرسة القديس لورانس ١٢٠٠ طالب منهم ١٠٥٠ من المسلمين ، وفى مدرسة القديس جوز ١٠٠٠ طالب

كلهم مسلمون ، ومدرسة المسيح الملك بها ١٠٠٠ طالب منهم ٧٠٠ مسلم ، ومدرسة القديس جون فيها ٩٠٠ طالب منهم ٧٠٠ مسلم ، أما فى مدرسة القديس بونا يونتشر فى حيدر أباد ففيها ١٦٠٠ طالب منهم ١٥٦٠ من المسلمين ، وفى مدرسة القديسة مارى فى حيدر أباد أيضا ١٦٩٧ طالبا منهم ١٥٥٨ من المسلمين .

ومن هنا تأتى خطورة رد هذه المدارس إلى أصحابها المنصرين وعدم إلزامهم بمناهج دراسية واحدة وإخضاع الجميع لنظام تعليمى واحد .

وعلاوة على المدارس تمارس الهيئات التنصيرية فى باكستان أساليب أخرى ، مثال ذلك ما تتعرض له كراتشى ولاهور هذه الأيام من غزو المطبوعات المنظم الذى يكتسح الشوارع والحارات والمنازل والمدارس والأسواق ويصل إلى المواصلات العامة والاتوبيسات حيث تباع عشرة كتب تنصيرية بروبية واحدة فقط . والأسلوب الذى تعرض به هذه الكتب يكشف عن المخطط الذكى لإيقاع بسطاء المسلمين فى شراك التنصير . فالكتب العشرة موضوعة فى كيس نايلون ، والكتابان الموضوعان من أعلى وأسفل لهما عنوان يشبه النموذج الإسلامى أو على الأقل لا يوحى بالفكر المسيحى مثل (الإيمان والعمل) و « زهور المعرفة » وغيره ، فإذا اشترى المسلم هذه الكتب على أمل أن يجد فيها ما توحى به عناوينها وجد أن بقية الكتب أناجيل واقتباسات من التوراة وغير ذلك من الكتب المسيحية . وهناك إذاعة مسيحية فى جزيرة قرب باكستان تبث إرسالها خمس ساعات يوميا ــ باللغة الأردية والانكليزية والفارسية والباشتو والبنجابية .

منذ عامين أعلن بعض زعماء الأقلية المسيحية فى باكستان الإضراب عن الطعام حتى الموت أو تستجاب مطالبهم ، وكان على رأسهم (ج . سالك) وفى ذلك الوقت نشرت الصحف المحلية مطالب المسيحيين التى لا تختلف عن مطالبهم فى أية دولة إسلامية كتخصيص وقت فى التليفزيون

والإذاعة لبرامجهم وإذاعة صلواتهم . وتخصيص ١٢ ٪ من الوظائف العامة لهم واشتراكهم فى الحكم وتحقيق العدل والإنصاف لطبقة عمال النظافة وغير ذلك من المطالب التى إذا قبلت فى مجتمع آخر فمن المستحيل قبول أغلبها فى مجتمع كالمجتمع الباكستانى .

وأيا كان الوضع فإن السؤال الذى ينبغى ان يسال :

لماذا نشطت الأقلية المسيحية بهذا الشكل فى هذا الوقت بالذات ؟

تقول التقارير الصحفية إن نفقات التبشير فى باكستان تدفعها السفارات الأوروبية والشركات الأجنبية فى باكستان ، والتاريخ يقول إن هذه الأقلية لم تكن وفية لباكستان الإسلامية فى لحظاتها الحرجة وأحداث حرب ١٩٦٥ مع الهند تشهد على وقائع التجسس التى كانوا يقومون بها واكتشفتها السلطات الباكستانية آنذاك .

وأخيرا . فقد تم ولأول مرة تعيين وزير كاثوليكى فى حكومة باكستان . حكومة بنظرير بوتر .. !

يحدث هذا كله ..

فى وقت تثار فيه الفتن بين الشيعة والسنة ، وبين أهل الحديث وأهل الرأى ، وبين مختلف الأحزاب والجماعات الطامعة فى الحكم ، وبين الأخوة الأشقاء الذين قامت باكستان لحمايتهم من العار والذل ..

إن ماحدث فى « كراتشى »[1] يثير الفزع فى قلب كل مسلم ومسلمة ، وكيف لانفزع ونجزع عندما يثور هذا الصراع الدموى بين أخوة العقيدة ، وبين أبناء الشهداء والضحايا الذين قدموا أرواحهم فداء باكستان العزيزة .

فتشوا .. فلسوف تجدون أصابع « التنصير » ومؤسساته من وراء هذه الاضطرابات الدامية ، ومن وراء هذه العنصرية البغيضة ، ومن وراء

---

(١) لقد وقعت اضطرابات قبلية وعنصرية ومذهبية فى هذه المدينة التى راح ضحيتها عشرات الضحايا والشهداء ..

هذه القلاقل التى تستهدف باكستان كدولة ... وتستهدف الإسلام والمسلمين كأمة ، هل عرفتم لماذا زار البابا « جون بول الثانى » كراتشى ؟؟ ولماذا أقام « قداسا » فى استادها الرياضى ؟؟

ألا يمثل ذلك قمة التحدى ؟ وإشارة البدء للهجوم على معاقل الإسلام فى لاهور وإسلام أباد و راولبندى ؟؟ !!!

الزحف إلى مكة !!!